**جامعة دمشق**

**كلية الآداب والعلوم الإنسانية**

**قسم علم الاجتماع**

**الخطوط العريضة لمادة :" النظرية والتحليل الاجتماعي "**

**(سنة أولى ماجستير دراسات عليا)**

**أ.د. أسعد ملي**

ــ النظرية هي مجموعة أفكار ورؤى على مستوى عال من التجريد لمجتمع ما من المجتمعات، وهي تتضمن ــ وفق تراتبية هرمية ــ المستويات الأدنى من التجريد، وصولاً إلى تفاصيل تلامس الواقع المادي على الأرض.

والنظرية سواء كانت في مجال العلم التطبيقي أم الاجتماعي، تبقى من دون قيمة عملية ما لم يتم ربطها عضوياً بالمستوى الاجتماعي وكذلك بالمستوى القيمي لجهة: التحليل والاستنتاج واقتراح السياسات.

وليس هناك نظرية لكل مجتمع، أو نظرية بالمعنى المطلق، إذ أن المعطى النظري هو شيئ نسبي، كون المجتمعات الإنسانية في حركية دائمة ومستمرة. وقد تصح النظرية لمرحلة زمانية معينة ومحددة ، أو تصح بشكل جزئي فقط ، لذا يصار إلى إعادة بنائها أو حتى استبدالها كلياً، وهذا الأمر له علاقة بدرجة الملائمة ما بين المعطى النظري وواقع المجتمعات. لذا ينبغي التعاطي مع النظرية بطريقة براغماتية ــ عملية.

ــ كثيرون يرفضون فكرة النظرية ــ وحتى فكرة القانون الاجتماعي ــ ويفضلون عليها فكرة: " الفلسفة الاجتماعية " كون هذه الأخيرة تتميز بقدرة أكبر على التكيف مع الوقائع المتغيرة ( مدرسة فرانكفورت مثلاً ).

ــ وتتركز النظرية الاجتماعية على فكرة عامة مؤداها أن الحياة الاجتماعية يمكن ردها إلى إلى قوانين علمية تسمح لنا بالتنبؤ بنتائجها متى توفرت الظروف لتحقيق مقدماتها تبعاً لتفاعلات البنية الاجتماعية وإرهاصاتها. وهي ــ أي النظرية ــ كما يرى العالم تيماشيف، أعلى درجات المعرفة، لأنها الوسيلة لإقامة المعرفة عن العالم الاجتماعي.

وبالرغم من اختلاف الرؤية التفصيلية في تحليل مفهوم النظرية، فإن هناك اتفاقاً عاماً بين مختلف علماء الاجتماع، مؤداه أن النظرية الاجتماعية هي محاولة علمية للسيطرة على الظواهر الاجتماعية من خلال تصورات منطقية.

أهم التعاريف:

روبرت مرتون: النظرية هي مجموعة من التصورات المترابطة منطقياً، تلك التصورات المحدودة والمتواضعة، ولكن ليست بالشاملة.

تالكوت بارسونز: النظرية تتصل بكيان من المفاهيم المترابطة منطقياً، وهذا لا ينفي وجود مجموعة من القضايا العامة ذات العلاقات التي تربط فيما بينها، ويمكن أن تؤلف كياناً نظرياً.

رالف دارندورف: النظرية هي مجموعة من قوانين منطقية مستخرجة من الواقع الاجتماعي، يستخلص منها استنتاجات دقيقة تعكس خصوصية متميزة لمجموعة بشرية صغيرة، لها فاعلية في شرح وتفسير سلوك وتفكير الناس ضمن واقعهم الحقيقي.

محمد عاطف غيث: النظرية هي مجموعة من المبادئ وتعريفات مترابطة تفيد تصورياً في تنظيم جوانب مختارة من العالم الإمبيريقي المعاش على نحو منسق ومنظم، إذا كان هيكلاً مكوناً من قضايا مترابطة منطقياً وقابلة للتحليل الإمبيريقي. ومن هنا تمثل النظرية الاجتماعية تراكماً مترابطاً ومفاهيم وتصورات وقوانين تأخذ شكلاً منسقاً ومرتباً بقصد تفسير الأحداث الاجتماعية وبلورة قوانين منطقية لها القدرة على التعبير عن الواقع الاجتماعي والتنبؤ بالمستقبل.

الشروط التي ينبغي توفرها في النظرية:

1ــ أن تتفق أجزاؤها ولا تتناقض( أي أن تكون منسجمة).

2ــ أن تكون المفاهيم التي تعبر عن القضايا محددة بشكل دقيق.

3ــ أن تكون القضايا المتضمنة في النظرية خصبة ومثمرة تستكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى، وتعميمات تنمي مجال المعرفة.

4ــ أن توضع بشكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقاً استنباطياً

( استنتاجياً )

هذا وتزداد النظرية صحة عندما تقدم تنبؤات بشأن ظواهر غير مثبتة بعد، ثم تأتي الأرصاد والتجارب وتقوم بإثباتها. فمثلاً نظرية النسبية العامة لآينشتاين تنبأت بانحرافات دقيقة في مدار الكوكب عطارد لم تكن مرصودة من قبل، وتم التحقق من ذلك فيما بعد، الأمر الذي أعطى المصداقية للنظرية النسبية العامة.

بالمقابل، تم إثبات خطأ نظرية أرسطو حول مركزية الأرض، وإن الكواكب والنجوم تدور حولها، وصحة نظرية كوبرنيكوس التي تقول بمركزية الشمس، وأن الكواكب ــ بما فيها الأرض ــ تدور حولها.

ولا بد من الإشار إلى أنه لا توجد نظرية صحيحة بالمطلق، أو خاطئة بالمطلق، وهذا ينطبق على النظريات الاجتماعية بوجه خاص، نظراً للطابع الديناميكي الذي يحكم سيرورة العلاقات بين البشر والمتسمة بعد الثبات والتغيرات الدائمة من جهة، واختلاف المجتمعات عن بعضها البعض من جهة أخرى.

نقاط أساسية حول بعض النظريات:

ــ النظرية البنائية الوظيفية.

هربرت سبنسر شبه المجتمع بالكائن الحي من حيث الأجزاء البنائية والوظائف، حيث استخدم كلمة وظيفة محل كلمة غاية أو غرض. ولقد أكد سبنسر دائماً وجود التساند الوظيفي والاعتماد المتبادل بين نظم المجتمع في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي بهدف إيجاد حالة من التوازن تساعد المجتمع على الاستمرار.

أما تالكوت بارسونز فيعتبر مفهوم الوظيفة أساسياً لفهم أي نسق من الأنساق الاجتماعية. فالوظيفة تمثل النتيجة المنطقية لمفهوم النسق، فهي توضح طبيعته وتعمل على تكيفه مع بيئته.

ولقد تطورت الوظيفية عند إميل دوركايم في موضوع الحقائق الاجتماعية التي تتميز بعموميتها ةقدرتها على الانتقال من جيل إلى آحر، وقدرتها القسرية على فرض نفسها على المجتمع (حقائق قد يكون لها طابع اقتصادي أو سياسي أو ثقافي أو قانوني إلخ......) وهذه الحقائق هي على درجة معينة من الاستقرار.

رادكليف براون تبنى هذه النظرية ، وهو يعتقد بأن أنساق البناء الاجتماعي تشير إلى وجود نوع من التنسيق والترتيب بين الأجزاء نفسها تجعل من البناء متماسكاً ومتمايزاً.

نظرية الفعل الاجتماعي:

يشتمل الفعل الاجتماعي على محفزات ــ محرضات تحرك الفاعل، وهي تتضمن مستويات ثلاثة:

1ــ المستوى الإدراكي، ويعني: معرفة الفاعل بغايته، والبدائل الممكنة لتحقيقها؛

2ــ المستوى الوجداني، وهو مؤشر حماسة الفاعل واهتمامه؛

3ــ المستوى القيمي: وهو يعبر عن القيمة والوزن المرتبط بالفعل ونتائجه.

هذه المستويات (المحفزات) تحرك ذهن الفاعل، فيقدم على الفعل متأثراً بمجموعة موجهات ترتبط بالموقف الاجتماعي الذي يعتمد في حدوثه على ظروف موضوعية تتلخص بما يحيط بالفاعل من مؤثرات بيئية اجتماعية، وظروف ذاتية تتعلق بالفاعل نفسه.

وعندما يتفاعل الموقف الاجتماعي مع المعايير والقيم الثقافية، يأخذ الفعل الوجهة الصحيحة ويحقق الغاية المرجوة منه. ولقد قدم كل من فيبر وبارسونز إسهامات مهمة فيما يتعلق بنظرية الفعل الاجتماعي ( وبالتحديد فيبر)

ولقد أكد فيبر أن الفعل الاجتماعي هو" الفعل الذي يحمل معنى، أو الفعل ذات المغزى". والفعل الفردي أساس ما يتشكل من بناءات ونظم وجماعات. من هنا جاء مفهوم الكاريزما عند فيبر.

النظرية المعرفية:

يعرف غورفيتش علم اجتماع المعرفة بأنه:" دراسة الترابطات التي يمكن قيامها بين الأنواع المختلفة للمعرفة من جهة، والأطر الاجتماعية من جهة ثانية".

حيث يركز على الترابطات الوظيفية القائمة بين أنواع وأشكال المعرفة. أي على العلاقة بين الفكر الإنساني، والسياق الاجتماعي الذي نشأ داخل هذا الفكر، فيتناول الآثار التي تتركها مجموع الأفكار السائدة على المجتمعات. أي أنه يتناول المسائل الأساسية حول مدى وحدود التأثيرات الاجتماعية على حياة الفرد.

وبالمقابل يتناول تأثير ثقافة الفرد على محيطه الاجتماعي.

ولقد راج استخدام مصطلح علم اجتماع المعرفة، وكذلك نظرية المعرفة في العقد الثاني من العشرينات وبالتحديد أفكار كل من كارل مانهايم وماكس شيللر.

النظرية الماركسية:

وهي النظرية التي حملت إسم مؤسسها كارك ماركس.

هذه النظرية تفسرالتاريخ البشري برمته تفسيراً مادياً لا مثالياً، ونجم عن ذلك مقولتها الشهيرة بأن تاريخ المجتمعات هو تاريخ صراع الطبقات، صراع بين طبقات مستغلة وأخرى مستغلة، وإن هذه القاعدة تنسحب على مجمل التاريخ الإنساني، وتم التعبير عن ذلك في نظرية التشكيلات الخمس التي اقترحها ماركس والتي اعتبرها الأكثر دقة وقدرة على تفسير سيرورة تطور المجتمعات من خلال القانون الديالكتيكي ( نفي النفي أو قانون صراع المتضادات). هذه التشكيلات هي : المشاعية البدائية ــ العبودية ــ الإقطاعية ــ الرأسمالية ــ الشيوعية.

وفي سياق تفسيره للعلاقة بين الذاتي والموضوعي، أي تأثير الفرد على المجتمع وتأثير المجتمع على الفرد ، اعتبر ( على عكس ماكس فيبر) أن التأثير الرئيسي إنما يعود للعامل الموضوعي، وإن ما هو ذاتي إنما هو انعكاس لما هو موضوعي وإن كان ذلك يأخذ طابعاً نسبياً في بعض الأحيان. ونجم عن ذلك أن العلاقات الاجتماعية بين الناس ــ وبالتحديد العلاقات الإنتاجية وعلى رأسها شكل الملكيةــ هي التي تصنع وعي الفرد، وبالتالي وعي المجتمع، بما في ذلك ثقافته.

وقد عبرت النظرية الماركسية عن ذلك من خلال شرحها للعلاقة بين ما أطلقت عليه مصطلح:البناء الفوقي ( وهو مجموعة البنى غير المادية في المجتمع كالثقافة والدين والسياسة والأخلاق والعادات والفلكلور إلخ.......) والبناء التحتي ( وهو البنية المادية للمجتمع معبراً عنها بعلاقات الإتناج وقوى الإنتاج المادي) معتبرة أن البناء الفوقي إنما هو انعكاس للبناء التحتي ، وإن لم ياخذ هذا الانعكاس طابعاً ميكانيكياً على الدوام.

وفي الحقيقة، تعد هذه النظرية من أكثر النظريات تماسكاً واتساقاً، لكن تبين بالتجربة أن البشرية لم تنضج بعد لفكرة المساواة التامة بين البشرالتي طرحتها وبنت عليها أساس أيديولوجيتها، بغض النظر عن الكفاءة. وإذا أردنا الحق فإن الناس مختلفون بالفطرة في الكثير من الأمور وأهمها: التميز في القابليات والمواهب ومستوى العطاء والقدرة على الإبداع وفي التكوين الفيزيولوجي إلخ..... وبالتالي فإن عدم مراعاة ذلك من الممكن أن يؤدي إلى الجمود والتحجر وعدم القدرة على مسايرة التقدم. وفي الحقيقة، فإن هذا ما حصل بالتجربة.

التحليل الاجتماعي:

التحليل الاجتماعي بالتعريف هو: الجهد المبذول لبلوغ رؤية شمولية واضحة لواقع اجتماعي معين، يكشف جذوره وعلاقاته التاريخية والبنيوية.

يعنى التحليل الاجتماعي بفحص موقف اجتماعي ما من مختلف مظاهره:

ــ تحديد المشكلة أو المشاكل. مثلاً : التضخم ــ الانفجار السكاني ــ البطالة ــ أزمة السكن ــ مشكلة الهجرة بشكليها الداخلي والخارجي إلخ......

ــ ما هي السياسات التي ينبغي انتهاجها لمجابهة هذه المشاكل. ( لمواجهة التضخم مثلاً لا بد من التحكم بسوق النقد، ولمواجهة الانفجار السكاني لا بد من تنظيم الأسرة، ولمواجهة أزمة السكن يجب بناء مساكن شعبية بتكاليف يمكن تحملها إلخ..... وبالطبع يلاحظ وجود تداخل بين مختلف المشاكل، ومن الضروري أخذ ذلك بعين الاعتبار خلال التحليل.

ــ تحديد طبيعة بنية المؤسسات أو المنظومات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ( على مختلف مستوياتها وأحجامها) التي لا تكون في العادة بمعزل عن أسباب نشأة هذه المشاكل.

ومن الأهمية بمكان التمييز بين البعد الذاتي والبعد الموضوعي للواقع الاجتماعي الذي نقوم بتحليله. ونعني بالبعد الذاتي الوعي والقيم والأيديولوجيا أو الذهنية الخاصة بالمحلل، فيما المقصود بالبعد الموضوعي المؤسسات والمنظمات على اختلافها وتنوعها ومظاهر السلوك الاجتماعي المختلفة.

وبناء على ما تقدم، فإن التحليل الاجتماعي ليس محايداً، لأنه ليس معزولاً عن القيم والذهنية التي تحركنا. ويمكن ملاحظة عدم حيادية التحليل من خلال الموضوعات التي نقوم بتحليلها، والأسئلة التي نقوم بطرحها، أو نبحث عن إجابة محددة لها من خلال طريقة طرح السؤال. كل هذا وغيره يؤشر إلى طبيعة ميولنا وقيمنا وبنانا الذهنية، أي الأيديولوجيا التي نحملها في نهاية المطاف.

عناصر التحليل:

إن أي تحليل لنظرية أو لموقف اجتماعي يفرض علينا ان نأخذ بالاعتبار العناصر التالية:

ــ الأبعاد التاريخية للموقف أو للمشكلة المراد تحليلها.

ــ العناصر البنائية لهذا الموقف ومدى ترابطها مع بعضها البعض.

ــ الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للموقف المراد تحليله.

ــ على أي المستويات تقع المشكلات والتداعيات والنتائج المرتبطة بهذا الموقف

( المستوى المحلي ــ المستوى الإقليمي/ المناطقي ــ المستوى الدولي إلخ.....)

مصداقية التحليل الاجتماعي:

ــ الحيادية.

ــ مراعاة وجود التخصص لدى الباحث( المحلل).

ــ أهمية وجود حس الباحث لديه. كأن يشكل الموضوع المراد دراسته وتحليله بالنسبة إليه هماً معرفياً، يقبل عليه بحماسة.

ــ أهمية وجود الضمير العلمي لدى الباحث.

ــ في العديد من الموضوعات لا يكفي التخصص وحده، فيتم الاستعانة والاسترشاد باختصاصات أخرى كعلم النفس(بشقيه الفردي والاجتماعي) والإحصاء والرياضيات والخدمة الاجتماعية وعلم التربية والمتخصصين اللغويين إلخ.....والعلوم في نهاية المطاف تتكامل وتتمم بعضهاً بعضاً.

ــ مراعاة وجود النزعة التصالحية لا التصادمية في المناهج، فالمناهج أيضاً تتكامل ولا تتناقض.

ــ ضرورة وجود ثقافة نظرية عالية المستوى لدى المحلل حتى تكون لديه فكرة واقعية ووافية وصحيحة عن موضوعه.

ــ ضرورة ألا تقتصر ثقافة المحلل( الباحث) على مجال تخصصه، بل أن تمتد لتشمل اهتمامات في علوم النفس والأدب والسياسة والثقافة عموماً والقضايا الجيوسياسية والتاريخ والجغرافيا إلخ........

ــ أن يمتلك المحلل( الباحث) ناصية لغته الأم، وأن يجيد لغة أجنبية حية واحدة على الأقل.

ــ أن تكون لديه معرفة باستخدام الحاسوب للإفادة عند اللزوم من الإمكانية الواسعة التي أتاحتها الثورة العلمية التكنولوجية الثالثة (وخصوصاً في تكنولوجيا المعلومات)

ــ أن يتمتع المحلل(الباحث) بصفاء ذهن، والقدرة على التفرغ بكليته لعمله، حتى تكون لعمله التحليلي قيمة إبداعية ، وأن يشكل هذا العمل إضافة علمية يعتد بها.

قائمة ببعض المصادر والمراجع ذات الصلة بالمادة:

ــ معن خليل عمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دارالشروق، عمان ، 2006.

ــ معن خليل عمر، نحو نظرية عربية في علم الاجتماع، دار مجدلاوي، عمان، 1992.

ــ رشيد علي شتا، نظريات في علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، د.م.ن. 1993 .

ــ نيقولاي تيماشوف، نظرية علم الاجتماع ــ طبيعتها وتطورها ــ ترجمة: محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1977.

ــ ابراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، عمان، 2008.

ــ إيان غرايب، النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 244، 1999.

ــ جورج غوروفيتش، الأطر الاجتماعية للمعرفة، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1981.

ــ أحمد زايد، علم الاجتماع( النظريات الكلاسيكية والنقدية) دار المعارف، القاهرة، 1984.

ــ جون كاميت، غرامشي(حياته وأعماله) ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، القاهرة، 1984.

ــ أنطونيو بوزوليني، غرامشي، ترجمة: سمير كرم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977.

ــ ابراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقي، بيروت، 2012.

ــ آلان هاو، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة: ثائر ديب، دار العين للنشر، القاهرة، العدد 1584، 2010.

ــ توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعيد هجرس، دار أويا، بنغازي، 2004.

ــ يورغان هابرماس، مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005.

ــ علاء الطاهر: مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.ن.

ــ فؤاد زكريا، هربرت ماركيوز، دار الفكر المعاصر، القاهرة، 1978.

ــ د.أ.م. ، جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، نموذج: هربرت ماركيوز، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.

ــ هشام عمر النور، تجاوز الماركسية إلى النظرية النقدية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.

ــ ميشيل هيلير، السكرتير السابع والأخير، ترجمة: نظير جاهل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992.

ــ إرنست ماندل، الاتحاد السوفياتي: إلى أين في ظل غورباتشوف، ترجمة: كميل داغر، دار الفارابي، بيروت، 1991.

أستاذ المادة:

أ.د. أسعد ملي